PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(3): 436-451
ISSN:1553-6939

AL FALAH ALHURAA SCHOOL IN TOUGGOURT AREA (CIRCUMSTANCES OF ITS INCEPTION, OBSTACLES TO ITS ESTABLISHMENT STAGES, AND ITS PROGRAMS)

Haroun Rashid Benmoussa[1], A- Abdel Hamid Qadri[2]

[1]Center for Research in Islamic Sciences and Civilizatio, Laghouat (Algeria), E-mail: h.benmoussa@crsic.dz

[2]Secondary education inspector - retired - and researcher in the history of the region (Algeria), E-mail: Khamid21@gmail.com

Received: 03/2024, Published: 04/2024

Abstract:

The Oued Righ (Righ Valley) region witnessed at the beginning of the nineteenth century a scientific and cultural stagnation, followed by the spread of heresies, myths and sorcery. However, the matter in the region did not remain the same as the colonists had hoped, in terms of illiteracy, ignorance, and corrupt beliefs. Due to the visits of reform leaders to the region they were able to establish the Al-Falah Charitable Religious Association to be an administrative front that enables them to open a free Arab school, and they missed the opportunity to the military devices that were preventing the activities of the Ulema Association in this country.

Keywords: Wadi Rig - Al-Falah School - Al-Falah Association - Association of Muslim Scholars - Enlightened Students.

مدرسة الفلاح الحرة بمنطقة تقرت–الجزائر – (ظروف نشأتها، معوقاتها مراحل تأسيسها، برامجها)

د.هارون الشيد بن موسى[1]، أ.عبد الحميد قادري[2]

[1]مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط (الجزائر)، البريد الالكتروني: h.benmoussa@crsic.dz

[2]مفتش التعليم الثانوي–متقاعد–وباحث في تاريخ المنطقة (الجزائر)، البريد الالكتروني: Khamid21@gmail.com

ملخص:

عرفت منطقة وادي ريغ بداية القرن 19م ركودا علميا وجمودا ثقافيا، تبعه انتشار للبدع والخرافات والشعوذة وهذا بدعم من سلطات الاحتلال لأن ذلك يخدم مصالحها، لكن الأمر في المنطقة لم يبق على حاله كما تمناه المستعمر حيث الأمية والجهل والمعتقدات الفاسدة، فمع تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وظهور مشروعها الهادف إلى محاربة الجهل وإعادة بناء هوية المجتمع الجزائري بدأت الأوضاع تتغير وهذا بفضل زيارات زعماء الإصلاح للمنطقة مثل ابن

باديس عام 1937 م، وكذلك رجوع الطلبة المستنيرين الذين درسوا خارج الوطن ، حيث استطاعوا أن يؤسسوا جمعية الفلاح الخيرية الدينية لتكون واجهة إدارية تمكنهم من فتح مدرسة عربية حرة، وقد فوتوا بها الفرصة على الأجهزة العسكرية التي كانت تمنع نشاط جمعية العلماء بهذه الديار.

الكلمات المفتاحية: وادي ريغ – مدرسة الفلاح – جمعية الفلاح – جمعية العلماء المسلمين – الطلبة المستنيرين.

مقدمة:

تعرضت الجزائر لأبشع استعمار وأكثره ضراوة وغطرسة عرفه العصر الحديث ألا وهو الاستعمار الفرنسي، إذ بقيت فيه بقية من الحروب الصليبية، فزيادة على استيلائه على الثروات والخيرات استهدف روح الشعب ومقوماته، ولهذا السبب تنوعت أشكال المقاومة الجزائرية للاستعمار فعلاوة على المقاومة الشعبية المسلحة والمقاطعة الاقتصادية والاجتماعية والهجرة وجدت المقاومة الفكرية التي استمدت مكوناتها من خصوصية المجتمع وهويته ولها أشكال كالتعليم العربي الإسلامي والعمل الفكري والأدبي والنشاط السياسي والاجتماعي والديني.

ولا تقل أهمية الثانية عن الأولى، لأن الرأي الشائع الذي انطبع في فكر العامة ولدى المهتمين بتاريخ الجزائر الحديث بصفة خاصة من أن صور الرفض للوجود الاستعماري إنما تجسدت في شكل المقاومة الراديكالية فقط دون غيرها، وأن الوطني الوحيد والشهيد هو من حمل سلاحا دون غيره.

ويمكن اعتبار جمعية العلماء المسلمين في طليعة الأعمال الجماعية المنظمة التي تبنت المقاومة الثقافية والتي استهدفت استرداد هوية الشعب الجزائري التي عمل الاستعمار جاهدا على سلبها،

ومن الوسائل الناجعة التي اهتدت إليها الجمعية علاوة على النوادي والمساجد والصحافة وكذلك الرحلات نذكر بناء مدارس حرة يتعلم فيها أبناء الجزائر لغتهم ودينهم وتاريخهم وبعض المعارف العلمية الملائمة لأعمارهم.

وإننا في هذا العمل المتواضع نريد تسليط الضوء على إحدى المدارس التي عرفتها منطقة تقرت بالجنوب الشرقي ألا وهي مدرسة الفلاح تنويها بدورها في بعث الحركة الثقافية بالمنطقة ووفاء لبعض رجالاتها وتعريفا للناشئة بها، فما هي الصعوبات التي واجهتها المدرسة أثناء تأسيسها؟ وما هي المراحل التي مرت بها؟ وما هي برامجها؟ وقبل ذلك يجذر بنا الإحاطة بالظروف العلمية والثقافية التي كانت تسود المنطقة في تلك الفترة، وقد استخدمنا في بحثنا هذا المنهج التاريخي السردي أما الصعوبات فتكمن في غياب الأرشيف الخاص بالمدرسة والمعلومات هي عبارة لقاءات شخصية ومعلومات جمعها الأستاذ قادري.

الوضع الثقافي في منطقة تقرت في بداية ق 19: عرفت منطقة وادي ريغ خلال هذه الفترة ركودا علميا وجمودا ثقافيا تجلى في قلة التأليف العلمي والإنتاج الأدبي وخلو المنطقة من أعلام كبار كما هو الشأن في المناطقة المجاورة مثل وادي ميزاب وإقليم الزيبان وقد رد الأستاذ عبد الحميد قادري ذلك إلى الأسباب التالية:

–افتقاد المنطقة لمراكز علمية مثل الجوامع والزوايا والتي من شأنها أن تنعش الحركة العلمية وتطورها، وحتى إن وجدت هذه المراكز فهي للإطعام والإيواء ولتأطير الذكر والحضرة وتحفيظ القرءان.

– عدم استقرار العلماء مما أدى إلى عدم توريتهم للعلوم وتكوينهم لأساتذة يخلفونهم.

-الطابع الاقتصادي للمنطقة فلا الجاهل يجد الوقت لكي يتعلم ولا العالم يجده لكي يعلم.**(عبد الحميد قادري ، 2014، الصفحات 204-205)**

وعلاوة على هذه الأسباب التي نقرها فإننا نضيف إليها سببا آخر مهما ألا وهو عدم هجرة سكان وادي إلى أماكن العلم كالزيتونة والقرويين على غرار باقي المناطق في الجزائر، وقد تجلى أهمية هذا العامل فيما بعد وإلا كيف نفسر الأثر الكبير الذي خلفه الشيخان حقي محمد السائح التجاني(1885-1933م)، الطاهر العبيدي (1886-1968م) على المنطقة واللذان يمما شطر جامع الزيتونة المعمور لتحصيل العلم وكذلك البعثاتالعلمية للشيخ الأخضر بن محمد بن ثابت (1878-1964م) إلى قسنطينة وتبسة.

وعندما دخل العدو إلى المنطقة وجد الجو المناسب والأرضية مهيأة لتنفيذ خطته فكرس في العامة دعوات الجهل والبدع مستعينا بصنائعه في الإدارة من مفتين وقضاة ومن أهمها حضرة[1]لالا مليحة سيدي قاسم رجال الحشان....الخ

-**حضرة لالا مليحة** (الرجال الملاح): تسمى باللغة البربرية (اريازان ذو اصبيح) وظهرت التسمية ابتداء من القرن الثامن الهجري ، حيث كان سكان الواحة في ما قبل يغدون لزيارة الولي الصالح سيدي بوحنية ، على ما يعتقدون وجوده من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب في فصل الخريف ، ويجعلون يوما للفرح والمرح يضربون الدفوف ويرقصون ، وهناك ناسا مفكرين صالحين فاستخدموا ذالك اليوم للصالح العام استخدموا في كل قرية صالحها من أهل الزوايا أو من المستظهرين للقرءان، وعندما تنتهي الزيارة يجتمعون في بطحاء تبسبست شرقي تقرت ويجلس الصالحون بالحلقة ويحيط بهم السكان والزوار وينادي مناديهم " هل من مظلوم من أخذ له مال أو ماء أو أي شيء فيدلي كل من له حق بحقه ، فينصفون بدعوة رجال الملاح فتخشاها جميع السكان فلم تزل تلك العادة الحسناء حتى سنة 1255هـ الموافق ل1840م حيث تدخلت فيها سلطات الاحتلال فانقلب المجلس إلى لالا مليحة فصار يوم قبح وفجور حيث شاعت الخمر والاختلاط النساء والزنا والربا والمزامير والرقص وأكل مال بعضهم بعضا بغير طيب نفس وغير ذلك من المناكر.**(محمد الحاكم ، 2010-2011، الصفحات 81-82)**

-**حضرة سيدي قاسم:** رجل اشتهر بالصلاح أتى من دندوقة (المغير) وقد كانت له أحوال وجرى كلام على لسانه وضرب الدف والأناشيد، حتى تطورت الحالة فصار له يوم معين يسمى بيوم الحضرة الذي يجتمع فيه الناس من كل قرية من المغير إلى وارجلان، وصار يوم فسوق وفجور وعصيان وهدم للدين سيما في العهد الفرنساوي. الذي عمل على توجيه هذه العادة (الحضرة) بما يخدمأغراضه والتي كانت تدل على الفرحة بما جلبته هذه القوافل من فسيل للنخيل من الزيبان ويحدث فيها حل لمشاكل السكان.**(محمد الحاكم ، 2010-2011، الصفحات 81-82)**

أما الأضرحة والأماكن التي تشد إليها الرحال والتبرك بها وتنظيم الحضرة حولها فهي كثيرة بالمنطقة وأهمها:

[1]مصطلح إسلامي صوفي يطلق على مجالس الذكر الجماعية والتي يؤديها المسلمون المنتمون للطرق الصوفية السنية بشكل خاص، ويكون على رأسها شيخ عارف بالطريقة ينبه على كل ما من شأنه أن يشوش إمكان الوصول إلى لحظة الصفاء، سميت بذلك لأنها سبب لحضور القلب مع الله، وهي ركن هام في طريق الصوفية .يتم فيها آداء أشكال مختلفة من الذكر، كالخطب وتلاوة القرآن والنصوص الأخرى من أدعية وأوراد، وإلقاء الشعر والإنشاد الديني، والمديح النبوي المتخصص بمدح رسول الإسلام والصلاة عليه، والدعاء والذكر الجماعي بشكل إيقاعي، وتلاوة أسماء الله الحسنى .يستخدم المحافظين من الصوفية أحيانا الدف أثناء الحضرات، في حين أن بعض الطرق تستخدم آلات أخرى. تعرف الحضرة بهذا الاسم في الدول العربية وبعض الدول الإسلامية غير العربية مثل إندونيسيا وماليزيا، في حين تعرف بأسماء أخرى في تركيا ودول البلقان .تكون في معظم الأحيان في ليلة الخميس بعد صلاة العشاء أو يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة..

(سيدي المخفي الموجود قبته بلورير ، وسيدي مبارك الصايم دفين المغير وبجانبه سيدي بوحفص وسيدي سليمان برابح الموجود ببادية رحمان وسيدي خليل بن سالم صاحب الزاوية المشهورة في زمانها ، وسيدي علي بن سلطان دفين البارد، ورجال العريانة بوغلانة ، وسيدي يحي بن بلقاسم ، وسيدي عمران ، ومزارة سيدي سعادة الرحماني شيخ جماعة السنة ، وسيدي راشد بن حامد، وسيدي سليمان بن الحاج ، وسيدي ابراهيم بن داود دفين غمرة، وسيدي علي بن كانون بالمقارين، وبور خيس ، وسيدي العابد دفين الزاوية العابدية مقدم الطريقة العمارية في وقته، ورجال الملاح بتبسبست، وسيدي محمد بن يحي سلطان وادي ريغ ، وسيدي فتيتة بالنزلة، وسيدي الحاج سعيد، وسيدي نصر الله ، وسيدي الغيلاني، وسيدي بوجنان، وسيدي محمد بن عبد الله دفين تماسين، وسيدي الحاج علي مؤسس الزاوية التيجانية بتماسين، وسيدي محمد السايح دفين بلدة عمر ، وسيدي بوحنية بقوق)

وقد أحصاهم القائد الأحمر في قصيدة شعرية يتوسل فيها بالأولياء ، عندما حفر بئرا ارتوازيا بالمقارين ، ولم يتدفق الماء فنظم هذه القصيدة يتوسل فيها بالأولياء لعل ماءها يسيل ، فيقول:

يا رب صل وسلم عـلى طه النبـــــي العربـــــي
شافيعنا زين الخاتـــــم محمد صاحـب الفرقـان
بعد الصلاة يا الحضـــرة ننده سادتي أهل النغـرة
طالب منهم ياتوني نصرة غيثوني راني عطشـــــان
باسم الخبير باغي نبــدأ ياكريم افتح هذا العقدة
تجهر العين المســـــدودة يا قدير يـــــــارحمـــان
عطف لي اسيادي اهل النية أهل السر والبركة قوية
من راس الوادي البوحنية محمد بن يحي السلطان
من الورير زيد المغـــــير أهل القباب خفي وظاهر
يغيثوا من جاهم حاير ملهوف صايدوا حمـــان
يا مبارك الصايم هـــــول يا مليح عندك ما تهــول
انظر وشوف يا أخـــي هذي شدة جات قوية
سيدي خليل شاو المشلية العابد وعلي بن سلطان
وينهم أهل الزاوية ومازر أهل الخير والسر الحاضر
عز المظلوم مع البايـــــر فكاكين من ليهم بـــان
يارجال جامعة ووغلانة يا شجعانة زولوا الهانـــة
وينهم رجال العريانـــــة يرووني راني عطشـــــان
حس الطبول نعت الرعدة والامحال تمشي بالعـادة
هاذاك يحي واسعـــــادة حمودة وسيدي عمـران
بن عثمان غوث البودالة يا مليح يا بحر الجهـلة
غيثني راني في حالة مـــن التعب راني دهشـــــان

يا سلطان صاحب العمامة يا شريف يا زين الهـمة **(عبد الحميد قادري ، 2014، صفحة 168)**

-**رجال الحشان:** وهي كلمة تطلق على كبار الفلاحين والحشان هو الفسيل من النخل ، وأطلق هذا الاسم عليهم لجلبهم الفسيل من الزاب من عهد بعيد قرب ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام، ولما عادوا تلقاهم السكان بإكرام وطلبوا منهم الدعاء فهزهم ذلك الإطراء على أن اعتقدوا في أنفسهم الكمال، واختلقوا رؤى أحلامية وكرامات كاذبة وصارت سبيلا وطريقا لمن أراد أن يتظاهر بدعوة، فزادهم خبالا وضلالا وصارت ذبائح وأطعمة وعوائد للنخلة وقد وصفهم الشيخ الطار بن دومة بقوله:" هم الجهال الذين يتكلمون بما شاءوا ويوحى لهم في اليقظة والمنام من أضاليل الأوهام" **(محمد الحاكم ، 2010-2011، صفحة 71)**

ونظرا لحالة الجهل المتفشية في المنطقة سيطرت معتقداتهم على قلوب العامة ومنها:

-أن للنخلة تأثير في الوجود بتصريفالروح كما كان الفينيقيون يعتقدون في الزيتون، والتونسيون في السنبل...**(محمد الحاكم ، 2010-2011، صفحة** 70)

- اعتقادهم في بعض البحيرات كبحيرة تيماسين والمقارين أن مياهها تشفي من الأمراض النفسية أو الجلدية، إذ يجب على المريض أن يتبرك بها وينزل حافيا وأن يرمي فيها البخور والشموع لاعتقاد الناس أن سيدنا سليمان حبس الجنون في هذه البحيرة، واعتقادهم في بعض الأشجار كالطرفاء وفي بعض الأماكن التي يظهر فيها جن من الجنون أو شيطان من الشياطين كجامع النبي أو أمهم الدقلة أو سيدهم هدهود أو أمهم علجية أو سيدهم الحاج البير أو رجال العريانة أو رجال الكدة أو كدية الضبع.**(محمد الحاكم ، 2010-2011، صفحة** 70)

ومن العقائد التي تسربت للمنطقة نذكر:

- اعتقاد العامة في مرض المالاريا بأنها جذبة أو ولاية.

- عادة الحلة فعندما يحل شهر محرم تنطلق المهرجانات الاحتفالية المتنوعة من رقص وألعاب بهلوانية ومحاكاة النماذج الاجتماعية المشهورة في المجتمع ....والتنكر بأزياء غريبة تخيف الأطفال، وفي هذه الأيام العشر تتعطل الأعمال ، فالرجال يتوقفون عن الأعمال فلا يحرثون ولا يزرعون ولا يؤبرون إذا كان الموسم موسم غرس و تأبير ، أما النساء فيتوقفن أيضا عن الغزل والنسيج وصنع الأواني اعتقادا منهم أن كل عمل يتم في هذه الأيام تنزع منه البركة فلا يثمر غرسه ولا يحصل إنتاجه، وربما يصاب المرء جراء عمله بمرض مزمن لا يشفى منه وهذا من اعتقادات الشيعة وقد تسربت إلى المنطقة نظرا للصراع المذهبي بين الفاطميين وغيرهم. **(عبد الحميد قادري ، 2014، صفحة 166)**

ومن خلال ما سبق يمكننا تلخيص الحالة الثقافية التي كانت تسود المنطقة فيما يلي:

-تعلق العامة بالأولياء والذين تعج بهم المنطقة فلا تجد قرية من القرى إلا ولديها العديد من الأضرحة والقباب يتوسل بها وتشد الرحال إليها كما نستنتج تساهل الناس في إطلاق لقب الولي والذي يتطلب علما وورعا افتقدهما الكثير ممن وصفوا بهذه الصفة.

تسرب بعض العقائد الوثنية والشيعية مثل عادة الحلة ناتج عن قلة ان لم نقل اندثار العلم الشرعي في المنطقة وقد حافظت سلطات الاحتلال على الوضع السائد وكرسته لأن العلم الصحيح المتفق مع العقل والشرع يتنافى مع هذه المعتقدات.

الفكر الإصلاحي في منطقة وادي ريغ: لم يبق الأمر في المنطقة على حاله كما تمناه المستعمر حيث الأمية والجهل والمعتقدات الفاسدة، فمع تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وظهور مشروعها الهادف إلى محاربة الجهل وإعادة بناء هوية المجتمع الجزائري بدأت الأوضاع تتغير في المنطقة ومن بين أسباب ذلك نذكر ما يلي:

زيارات زعماء الإصلاح للمنطقة:قام زعماء الإصلاح في الجزائر والحاملين لمشاريع سياسية ووطنية بزيارات لمختلف ربوع الوطن تبليغا لآرائهم وكسبا للعديد من المناضلين المخلصين، ومن الزيارات التي كان لها أثر على منطقة تقرت وساهمت في نشر الوعي الثقافي والحس الوطني وضرورة التغيير نذكر:

زيارة الأمير خالد(1875-1936م) لبسكرة سنة 1920م: عندما نزل بها انتقل اليهالشيخ الأخضر بن محمد بن ثابت(1878-1964م) وتعرف على مشاريعه الوطنية ، فتأثر بدعوته السياسية أيما تأثير ومن حينها استهواه تصفح الجرائد والمجلات التي كان يصدرها رجال الدين والسياسة على اختلاف مشاربهم ثم انضم إلى بعض التنظيمات الوطنية يؤازره ويؤيدها وعندما تأسس حزب الشعب وأصبحت له خلية ناشطة ببسكرة انضم اليه وأصبح عضوا فيه، وقد شهد له مناضلوا حزب الشعب على نشاطه الوطني فكتبوا عنه في جريدة الأمة التي كانت لسان حال الحزب فصادرت الإدارة الفرنسية ذلك العدد، ثم نشر مقال آخر عنه في مجلة الشهاب فكان رد فعل السلطات العسكرية ان اعتقلت جميع المشتركين في مجلة الشهاب من أبناء المغير على رأسها المترجم له.

(عبد الحميد قادري ، 2014، صفحة 235)

فعندما وصلت بركة الإصلاح إلى عاصمة الزيبان بسكرة التي كانت بوابة الصحراء ومحضن رجال الإصلاح أمثال العقبي وخير الدين والعمودي وغيرهم ، انتقلت العدوى إلى تقرت بعد الحرب العالمية الثانية إذ تبنى الفكرة البعض من أعلام المنطقة.

زيارة ابن باديس سنة 1937م: وبعد زيارة ابن باديس إلى وادي سوف عام 1937 عقب هدة سوف التي أعتقل فيها عبد العزيز الهاشمي(1853-1923م) شيخ الزاوية الهاشمية ومقدم الطريقة القادرية بعد انتصاره لجمعية العلماء، وفي طريق العودة إلى قسنطينة على متن القطار انطلاقا من محطة تقرت، اتصل بالشيخ ابن باديس في المحطة بعض الأعيان من تقرت،على رأسهم الشيخ الحشاني بالعمري(1896-1984م)،الشيخ أحمد العربي جاري(1898-1971م) ، الطالب بابا بكالة(1891-1954م)، فتحدث معهم في شأن الإصلاح، وعرضوا عليه رغبتهم تأسيس مدرسة حرة، فشجعهم على ذلك و رغبهم في المضي مع مشروعهم.

ومنذئذ أخذت الفكرة تختمر في أذهان بعضهم، يفكرون في الطريقة التي تمكنهم من الدخول في حزب الإصلاح،وبعد الحرب الكونية الثانية تكرست الفكرة الإصلاحية، حيث التحق بعض العلماء من الجهة إداريا بالجمعية وصاروا أعضاء عاملين فيها، يفرون فريهاكالشيخ علي خليل بالمغير، بعضهم انتهج نهجها في الإصلاح الاجتماعي، كالشيخ الأخضر بن ثابت، ومحمد الصايموعبد الله قسوم، الذين ساهموا في بعث الحركة العلمية العصرية[1]. **(عبد الحميد قادري ، 2014، صفحة 235)**

رجوع الطلبة المسنيرين:من العوامل المهمة لانتشار الفكر الإصلاحي في منطقة وادي ريغ هي رجوع بعض الطلبة من أبناء المنطقة والذين زاولوا دراستهم في الخارج بفكر مستنير يتنافى تماما مع ما هو سائد في المنطقة ومع ما تطمح إليه سلطات الاحتلال ومن أبرزهم نذكر:

أحمد بن العربي جاري(1898-1971) : ولد بمستاوة بتقرت ثم هاجرت به أسرته إلى الحجاز وهو صبي غير مميز، وعندما استقرت عائلته بالمدينة المنورة أدخله أبوه إلى الحلقة القرآنية بالمسجد النبوي فحفظ القرآن وهو لا يزال غظا يافعا، بعدها انتقل إلى

[1]- من الذين كان لهم شرف تنشيط المحيط الاجتماعي الشيخ الحشاني بن العمري والشيخ أحمد جاري، والطالب بابا والشيخ محمد الأخضر السائحي بن العلمي.

حلقة الدروس العلمية ومن أبرز شيوخه الذين أخذ عنهم وتأثر بعلمهم و تأدب بأدبهم أستاذ بن باديس في الإصلاح الشيخ حمدان الونيسي الجزائري نزيل المدينة المنورة والمحدث الثقة فلاح اليمني ، وعندما اشتد عوده أجازه شيخه اليمني فعينه أمير المدينة إماما خطيبا ومدرسا بمسجد الغمامة المبارك ، لكن لم يطل به المقام هناك حيث أبعد إلى دمشق الشام مع من أبعد من العلماء المغاربة على إثر قيام حركة الشريف حسين ضد الأتراك، وفي دمشق انتظم في سلك المدرسين بالمدرسة السلطانية وبعد سنتين قضاهما فيها عاد إلى المدينة المنورة بعد انفراج الأزمة وانهزام الأتراك في الحرب الكونية الأولى ولم يدم بقاؤه في المدينة طويلا كذلك إذ دخل الحجاز في حروب داخلية، فعاد إلى الجزائر وحط الرحال بتقرت مسقط رأسه وموطن أقربائه فوجد الوضع الاجتماعي بتقرت صعبا للغاية والركود العلمي سائدا ومؤلما فضلا عن الرقابة الاستعمارية المشددة على كل من يتحرك في اتجاه بعث الروح العلمية في الناس، فبحث عن وسيلة تمكنه من الوصول إلى الناس دون أن تلفت انتباه الرقابة على نشاطه فاختار أن يصل إلى قلوب العامة عن طريق الزاوية الهاشمية المؤتمن على نشاطها من قبل الحكام العسكريين ، **(عبد الحميد قادري ، 2014، صفحة 268)**

فانتمى الشيخ تقية إلى الزاوية الهاشمية، وفي المدة التي قضاها مدرسا بالزاوية أخذ عنه عدد كبير من الرجال كان لهم شأن في المجتمع التقرتي أصبحوا من متفقهة مدينة تقرت ومنهم من كانوا النواة الأولى لمعلمي مدرسة الفلاح بعد تأسيسها لاحقا.**(عبد الحميد قادري ، 2014، صفحة 269)**

الحشاني بن العمري(1896-1984م): ولد بحي مستاوة العريق أدخله أبوه الكتاب فحفظ القرءان وهو صغير، بعدها انتقل إلى حلقة الشيخ الطاهر العبيدي التي تجمع ثلة من حفظة القرءان يعلمهم مبادئ الفقه وقواعد اللغة، لما بلغ أشده انتقل إلى جامع الزيتونة العامر وهناك اعتكف ينهل من علوم عصره ويعترف من معين الزيتونة العلوم على أيدي الشيخ الطاهر بن عاشور والشيخ النخلي والشيخ بلقاضي وغيرهم من أساطين علماء الزيتونة، وبعد أربع سنوات من الدراسة أجازه أساتذته إجازات علمية ورجع إلى تقرت عالما.

(محمد الحاكم ، 2010-2011، صفحة 274)

محمد الأخضر بن العلمي السائحي2: (1918-) ولد بقرية العلية موطن أولاد سايح وعندما بلغ سن التعلم أدخله أبوه إلى الكتاب فحفظ القرآن ولم يتعد سن ثلاثة عشرة سنة، وقد كانت لوالده علاقة حميمية بالشيخ ابراهيم بيوض (1899-1981م)الذي يشرف على مدرسة الشبيبة الحرة بالقرارة فانتقل به إليها فانتسب إلى المدرسة وهناك تابع دراسته النظامية على أيدي أساتذة المدرسة المميزين من أمثال الشيخ بيوض والشيخ أبي اليقظان(1888-1973م) ، وبعدها التحق بالجامعة الزيتونية سنة 1934فقضى بها جزءا من حياته متعلما فنال شهادة الأهلية ولظروف سياسية عاد بعد اربع سنوات إلى الوطن مطاردا من الأجهزة الاستعمارية ، وبعد عودته سنة 1944م اختار أن ينضم إلى مدرسة الفلاح ويكون من فريقها التربوي يعلم ويربي ويوجه، وفي وقت قياسي أصبح هو الموجه التربوي والمدير البيداغوجي الفعلي وواضع البرامج وحول المدرسة إلى منارة للتعليم العربي والوجه العملي للإصلاح. **(عبد الحميد قادري ، 2014، صفحة 374)**

وإلى جانب نشاطه التعليمي أسس جمعية الأمل الثقافية وجعلها رافد من روافد مدرسة الفلاح وذراعا يحرك نشاطاتها المكملة للمواد الدراسية وصوتها الوطني المعبر عن القضايا الوطنية، فمن خلالها جمع حوله ثلة من الشباب نظمهم وغرس فيهم المبادئ

الوطنية عن طريق المجموعات الصوتية فينشدون الأناشيد الحماسية التي تمجد الوطن والقصائد الدينية التي تغرس القيم وعن طريق تمثيليات تخلد مآثر التاريخ العربي الإسلامي.

(عبد الحميد قادري ، 2014، صفحة 375)

مظاهر الإصلاح في المنطقة:

هناك بعض المؤشرات والدلائل توحي أن الأوضاع في المنطقة بدأت تتغير وأن صيحات ودعوات رجال الإصلاح وجد صداها وبلغ أثرها وتجلى عطاؤها في المنطقة، ومن الأدلة نذكر الصعوبات والعوائق التي واجهها بعض المصلحين في المنطقة ومن الأمثلة نذكر الطالب بشير بن قدور بكالة-بابا- (1891-1954م)الذي تحمل من أجل الإصلاح هجر الأحباب وتنكر الأصدقاء الذين لم يقتنعوا بمؤازرته لهذه الجمعية التي جاءت بفكر إصلاحي معاد للنخبة المهيمنة على عقول الناس، وتنبذ الشعوذة والجمود الأمر الذي يتنافى ورغبة الجامدين، ويكشف عن نوايا بعض الذين لا يريدون لغيرهم أن يتعلموا علما صحيحا، فضحى بكل شيء من أجل التمكين للإصلاح أن يفوز وقد كانت نتيجته تأسيس مدرسة الفلاح الحرة، فكانت فاتحة خير على تقرت حبث بشرت وأشرفت على البعثات العلمية إلى جامع الزيتونة العامر.**(عبد الحميد قادري ، 2014، صفحة 256)**

ومنهم احمد بن عمر عظامو(1886م-1968م) الذي أيد المسعى الإصلاحي لجمعية العلماء وسوق في حياته أهم أهدافها المتمثل في رسالتها التربوية، وبالرغم من أنه كان رجلا متصوفا على الطريقة الرحمانية، يلتزم أورادها يعتقد اعتقاد رجالها ويتأدب بآدابهم، إلا أنه كان ينكر على العوام سفاهتهم في الاعتقاد في الأولياء إلى درجة الشرك وينكر عليهم الزيارات الجماعية لأضرحتهم ويشدد النكير على الاختلاط، وغير ذلك من المنكرات.

(عبد الحميد قادري ، 2014، صفحة 243)

وقد انتصب للتعليم القرآني فتخرج على يديه العديد من الحفاظ تولوا بدورهم مسؤولية تعليم القرآن ونشر الوعظ والإرشاد من أمثال الطالب بشير بكالة (الطالب بابا) والطالب جلول سواسي والطالب ابراهيم عنانو والطالب ابراهيم الرياحي وفي الزاوية العابدية نجد الطالب ابراهيم بلحسن وفي تبسبست الطالب احمد بن رزقية عرعار والطالب منصور عبد الجواد وفي النزلة الطالب الأخضر النيلي وفي تيماسين الطالب زيناتي الحاج ، وفي بلدة عمر الطالب لخضر نايلي ، وفي عرش الفتايت الطالب ابراهيم بن الأكحل أما عرش أولاد سايح فنجد الطالب محمد بن الزاوي والتيجاني طيباوي ومحمد السايح مكاوي وغيرهم.**(عمراني معاذ ، صفحة 288)**

و كذلك الشيخ الطاهر بن دومة(ت1982م) : الذي قضى على بدعة الحلة التي يحتفل بها سكان وادي ريغ في العاشر من محرم، وحارب بعض المعتقدات الفاسدة كالقرابين المقدمة لأضرحة الأولياء، كما قام باقتلاع شجرة الطرفاء المقدسة من طرف سكان المنطقة والذين كانوا يعتقدون فيها **النفع** والضر، فكان لا يمر بها أحد إلا وينزع شيئا من ثيابه ويعلقه في تلك الشجرة وكذلك تقويمه لبعض العادات والتقاليد التي تنافي الشرع الإسلامي في الأتراح والأفراح قد عانى كثيرا وهو يتصدى لهذه البدع مما أدى إلى وصول وشاية العديد من أهل المنطقة إلى أهله وذويه فنفرته أسرته وطرد من منزله.**(هارون الرشيد بن موسى، صفحة 537)**

دون أن ننسى تلميذ الشيخ الطاهر بن دومة (على كافي) الذي أنكر ما لحق بالتصوف من انحرافات، كما شن حملة شعواء على البدع والخرافات التي كانت معشعشة في أذهان العامة كالأضرحة التي اتخذها العوام مزارات تشد إليه الرحال لطلب

الاستشفاء والتماس البركة، وكذلك الحضرات وما فيها من منكرات والتي كانت بدعم من سلطات الاحتلال مما أثار حفيظتها فزجت به في السجن.**(عبد الحميد قادري ، 2014، صفحة 367)**

الصعوبات التي واجهتها المدرسة: لم يكن تأسيس المدرسة هينا عسيرا بل واجه علماء المنطقة العديد من المصاعب والتحديات أبرزها.

النفوذ الطرقي في المنطقة: تنتشر في المنطقة العديد من الطرق الصوفية منها الأصيلة ومنها ما هو صناعة فرنسية، **(هارون الرشيد بن موسى، صفحة 528)** ، وقد كانت الأخيرة عائقا ومانعا أمام الفكر الإصلاحي وعدم تمكينه من الانتشار والذيوع في المنطقة، ومن الأمثلة التي نسوقها تلك الحملات العدائية التي تلقاها مدير المدرسة الشيخ حشاني بن العمري وهذا بعد ظهور ارتباطها المعنوي بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين خصوصا بعد زيارة البشير الإبراهيمي للمدرسة والاجتماع بمعلميها ، فبدأ بعض الجامدين الحاقدين بالتشنيع على الشيخ أمام السلطات الاستعمارية وقللوا من أهمية التعليم فيها ونصحوا العوام لمنع أبنائهم للذهاب إليها فضاق الشيخ ذرعا فتركها إلى تلاميذه وغادر تقرت **(عبد الحميد قادري ، 2014، صفحة 275)**

وقد استحكمت الطرقية حتى في بعض العلماء الذين زاولوا دراستهم في الخارج كالشيخ الطاهر العبيدي فقد كانت له علاقة صداقة بالشيخ عبد الحميد بن باديس قبل تأسيس جمعية العلماء وقد اجتمع به عندما زار الشيخ عبد الحميد بن باديس تقرت وقد تبادلا معا رسائل الشكر وقصائد المدح إلا أنه بعد تأسيس جمعية العلماء وظهر خطها المعادي للطرقية والمرابطية واشتدت المعركة بين الطرفين فترت تلك العلاقة ، وقد ظهر هذا الفتور وطفا على السطح عندما زار عبد الحميد بن باديس مدينة الوادي عام 1937م فاجتمع ابن باديس بعدد كبير من علماء مدينة سوف وغاب عن الاجتماع الشيخ الطاهر، وازدادت جفوته للجمعية عندما ترأسها الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان متطرفا في عداوته للطرقية، وما يبين تلك الجفوة أنه عندما زار الأخير تقرت رفض الشيخ الطاهر الاجتماع به، وحتى إن تكفل بتسيير مدرسة الفلاح واحتضن تلاميذها عندما زج ببعض المعلمين في السجن عام 1957م فقد كانت في تلك الظروف ليست تحت غطاء جمعية العلماء كما كانت**(عبد الحميد قادري ، 2014، صفحة 248)**

ومن الأمثلة أيضا الشيخ محمد بن سليمان حمداوي (1910–1994م) الذي تعلم بالزيتونة واحتك بعلمائها وعاد إلى الوطن فلم ينضو تحت راية الحركة الإصلاحية كما فعل محمد العيد آل خليفة مع حبه للطريقة وإخلاصه لها، وهذا في الحقيقة أمر لا ينطبق على الشيخ وحده وإنما ينطبق على كثير من علماء الجنوب الجزائري خصوصا منطقة تقرت والطيبات والحجيرة وورقلة، فلم ينضو علماؤها تحت راية الإصلاح التي ترفعها جمعية العلماء ولم يناصروا أفكارها بل حاربوها في بعض الأحيان.

ونتيجة لهذه الظاهرة فتر التعليم الحر المنظم بل كاد يكون منعدما، ولم يكن حاله كحال منطقة وادي سوف والجزء الشمالي من منطقة وادي ريغ، **(عبد الحميد قادري ، 2014، صفحة 322)**وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة النفوذ الطرقي خاصة التيجانية.

الحكم العسكري: كانت منطقة وادي ريغ تحت الحكم العسري الفرنسي وهذه من الصعوبات التي واجهها المصلحون في المنطقة، فبعدما تمكن العلماء الجزائريون من تحقيق حلم ضل يراودهم أزيد من عشرية وهو توحيد جهودهم الإصلاحية في تنظيم خاص، عملوا على تنظيم ما يوطد دعائم هذا التنظيم وذلك بإنشاء الجمعيات والنوادي الثقافية في كامل القطر الجزائري عدا مناطق الجنوب التي كانت تحت رقابة النظام العسكري

(عمر هلال ، صفحة 266)

وهذا الأمر هو الذي دفع بالمستنيرين من أبناء المنطقة إلى إيجاد خطط وطرق ملتوية لتحقيق الهدف ألا وهو فتح المدرسة فما هي خطتهم؟

تأسيس جمعية الفلاح الخيرية الدينية

عندما سرت عدوى إنشاء المدارس العربية الحرة لمحاربة الجهل والحفاظ على لغة الشعب الجزائري المستهدف في كيانه العربي الإسلامي، بادر بعض الرجال من العلماء وأعيان تقرت وعلى رأسهم الحشاني بن العمري والطالب بابا والشيخ احمد التجاني كعضو شرفي ليسهل لهم المهمة أمام السلطات العسكرية إلى تأسيس جمعية الفلاح الخيرية الدينية، لتكون واجهة إدارية تمكنهم من فتح مدرسة عربية حرة وقد فوتوا بها الفرصة على الأجهزة العسكرية التي كانت تمنع نشاط جمعية العلماء بهذه الديار ، وقد فتحت المدرسة برئاسة الشيخ أحمد جاري وعضوية الشيخ أحمد التجاني وعبد الرحمان بن عودة والطيب مزوار و محمد العيد بوليفة.

وقد كان لأغنياء تقرت دور كبير في توقير المبلغ الذي مكن الجماعة من بناء المدرسة، وقد جاءت في شكل معماري جميل يمثل العمارة الإسلامية في صورتها الأصيلة، فبفضل هده الجمعية التي استقطبت شخصيات لهم حظوة لدى السلطات المدنية والعسكرية ولا يشكون في ولائهم للحكومة الاستعمارية تأسست مدرسة الفلاح الحرة، وبفضل الله وتوفيقه للحشاني بن العمري ومدرسته انطلقت البعثات العلمية إلى جامع الزيتونة لعدد من أبناء تقرت.

(عبد الحميد قادري ، 2014، صفحة 275)

المراحل التي مرت بها المدرسة

فتحت المدرسة أبوابها لأبناء تقرت عام 1946 يديرها الشيخ الحشاني بالعمري، واستمرت تؤدي رسالتها التعليمية والتربوية إلى أن أغلقت أبوابها عام 1958[1] عندما اشتد لهيب الثورة التحريرية،وزج بالمعلمين في السجون.

وقد مرت المدرسة بأربع مراحل:

-**المرحلة الأولى**1946-1951: كانت تقدم دروسا في النحو والفقه والسيرة النبوية ببرامج وطرق تقليدية لا تختلف على الدروس التي تقدمها الحلقات في المساجد، ومن بين الكتب المعتمدة في التدريس متن الأجرومية وقطر الندى في النحو، ونظم بن عاشر في الفقه والجوهرة في التوحيد وسيرة بن هشام في السيرة...

ومن أبرز معلميها الشيخ الحشاني بالعمري والشيخ أحمد جاري والشيخ أحمد غانم والطيب مزوار وعبد السلام كافي ومحمد الأخضر درويش.

وقد زارها في هذه المرحلة عام 1947 الشيخ البشير الإبراهيمي، في حملة جمع الأموال لبناء معهد ابن باديس، وتفقد أحوال الإصلاح كما وقف على سير المدرسة، وقد برمج له أعضاء جمعية الفلاح إلقاء درس توجيهي بالمسجد الكبير، فخاف البعض من مغبة هذا العمل الذي يغضب السلطات العسكرية= التي تمنع نشاط جمعية العلماء بهذه المناطق، فوقف بعض الذين يسيرون في ركاب الحاكم العسكري، ويخافون من الإصلاح، الذي ربما يزعزع وضعهم الاجتماعي، ويزيل الغشاوة عن أعين الناس.

فوقفوا معارضين على إلقاء الدرس، وحاولوا إلغاءه مستعينين بالسلطات العسكرية، فكان من شأن الحاكم منع الأهالي من حضور درس الإبراهيمي، ووعد كل من يحضر الدرس بالعقاب الشديد، بتهمة انتمائه لجمعية العلماء المحظورة في هذه المناطق،

[1]- معلومات أفادني بها الشيوخ على كافي وعبد الحميد عقال، وبن حميدة مولدي عام 1980.

وبتبني أفكارها والدعوة لها، وأوعز الحاكم لجهاز الأمن والحراس إخلاء المسجد من الذين لم يستجيبوا لأمر السلطات، ولم يخفهم وعيد الحاكم، وعندما جد الجد وخارت الهمم ، وقف الطالب بابا وقفة رجولية، أزاحت على أعين الحاضرين غشاوة الحيرة والدهشة، وكسرت حاجز الخوف والرهبة، و حرَّك في نفوسهم التحدي عندما قال كلمته:

" أيها المؤمنون، إن الشيخ الإبراهيمي سيلقي عليكم درسا، يحي به نفوسكم ، ويذكركم بواجباتكم نحو دينكم ، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولا يخاف إلا الله فليستمع للدرس ولا يخرج من المسجد ، فلا تخافوا في الله واحدا، ثم التفت للحراس وخاطبهم خطاب الرجل الواثق من نفسه بلهجة فيها تحد" إذا أردتم أن تعودوا إلى ذويكم سالمين، وتعيشوا بين الناس محترمين فاتركونا وشأننا، وإلا سنعلنها حربا عليكم، من الآن فانصرف العسس ولم يفعلوا شيئا ،و ألقى الإبراهيمي درسه، امتد من بعد صلاة المغرب إلى ما بعد العشاء وكان موضوع الدرس تفسير الآيات الأولى من سور المدثر، فكان للدرس صدى واسع في أوساط الأمة، ولولا الهيبة التي كان يمثلها الطالب بابا لدى الحاكم العسكري لحدث بتقرت ما حدث بالوادي من اعتقالات عام1937م أو لأغلقت المدرسة.

وفي زيارته هذه حاول الإبراهيمي مع القائمين على المدرسة أن تنظم المدرسة إلى قائمة مدارس جمعية العلماء فرفض القائمون عليها الانضمام إلى الجمعية إداريا خوفا من أن يطالها الغلق، ومع ذلك أصبحت تعمل وفق برامج منهج جمعية العلماء، وتخلوا على النظام القديم خصوصا عندما التحق بالمدرسة الأخضر السائحي فتغيرت المقررات وتجددت الطرق فأصبحت تدرس فيها النصوص الأدبية والتاريخ الإسلامي إلى جانب النحو والصرف وأبواب الفقه والحساب والجغرافيا.

وقد كان للمدرسة–في مرحلتها الأولى –الفضل في تنظيم وتشجيع البعثات العلمية إلى جامع الزيتونة وأصبحت بؤرة للتكوين السياسي وبناء الروح الوطنية، خصوصا بعد التحاق الأخضر السائحي ومن الطلائع الذين استفادوا من التعليم بالزيتونة؛ عبد الحميد عقال،وعلى كافي، ومحمد كافي بن محمد، وبن حميدة المولدي ومحمد كافي بن عبد السلام وعبد المجيد كافي.

المرحلة الثانية 1951– 1954: عندما وقعت مشاحنات بين أعضاء الجمعية منهم من نكر على الشيخ الحشاني بالعمري أن يتواصل مع جمعية العلماء، ويتبنى نهجها الإصلاحي، وخوفا من أن تحتويها إدارتها، وقد تم هذا بتحريش من السلطات العسكرية، وعندما وقع التنافر، ولم يجد العمري النصير، وتغلب الطرف الموالي للإدارة، غادر الشيخ الحشاني بالعمري المدرسة، وانتقل إلى أم البواقي بدعوة من الشيخ الإبراهيمي، كمدرس بمدرستها الحرة، وبانقطاع العمري انفرط عقد المعلمين، وانتقل الأخضر السائحي إلى العاصمة، فتوقفت المدرسة عن التعليم، فسعى بعدها بعض الأعيان لدى الشيخ الطاهر العبيدي، للإشراف على المدرسة، ومواصلة رسالتها، وابتعدت عن نهج الجمعية، فانضم إلى التعليم بها الطالب الطاهر بن دومة، ورجع الطيب مزوار و أحمد غانم ، واستأنف العمل بها، لكن لم تكن كما كانت في عهد الحشاني بالعمري، الذي كان متفرغا، لها كون الشيخ الطاهر مشغول بالدروس المسجدية، بالإضافة إلى شح تموينها الذي كانت تتلقاه سابقا من المحسنين.

المرحلة الثالثة 1955–1957: عندما عاد الزيتنيون من رحلة العلم ، عادت المدرسة إلى نشاطها الأول وتحسن التعليم، واستقطبت المدرسة عددا هائلا من التلاميذ، وأصبحت المدرسة مفتوحة لجميع أبناء تقرت على مختلف مستوياتهم، واستحالت تنافس المدرسة الفرنسية الرسمية، ومن أبرز معلميها في هذه المرحلة الأستاذ علي كافي و شقيقه محمد كافي، وعبد الحميد عقال والمولدي بن حميدة، واستمرت تؤدي رسالتها إلى أن زجَّ بجل معلميها في السجن عد اكتشاف عملهم في اللجان المدنية للثورة، منهم عبد الحميد عقال وعلي كافي والمولدي بن حميدة فأغلقت المدرسة مرة أخرى .

المرحلة الرابعة 1958–1959: عندما أعتقل المعلمون الأساسيون أغلقت المدرسة مرة أخرى، وحاول أحمد كافي وعبد المطلب بالباي والطالب الطاهر بن دومة مواصلة تنشيط المدرسة، ريثما يتم تسريح المعلمين المعتقلين، واستمرت تعمل حتى المرحلة الانتقالية التي امتدت من 19 مارس 1962 إلى 1 أكتوبر 1962 لكن بصفة محتشمة.

وبهذه الحركة التعليمية التنويرية، واليقظة الفكرية مع ما شابها من انقطاع واختلال، فقد أحيت العقول، وبعثت الوعي السياسي، وغرست الحس الوطني في أبناء تقرت.

برامج المدرسة: ليس للمدرسة برامج ملزمة، ولا كتب مقررة، فبرامجها كانت تقليدية، فمستنداتها التربوية، هي المتون العلمية المقررة في الزوايا كمتن الأجرومية في النحو والسنوسية في العقيدة، وابن عاشر في الفقه، كما أنها، لم تكن لها امتحانات واختبارات دورية، تقوم مستويات التلاميذ تعتمد في ذلك على الامتحانات الشفوية، وتعتمد على الحفظ أكثر من التطبيق، ولم نعثر لها على برامج ومستندات[1]، كما عرفنا ذلك في مدارس جمعية العلماء، المنتشرة عبر الوطن، والتي تسيرها لجنة التعليم العليا.

مدرسة الفلاح وارتباطها المعنوي: يتجاذب المدرسة تياران ألا وهما:

–التيار الطرقي بحكم كثرة الزوايا وتغلغلها في المنطقة، ولاعتبار أن أعيان المنطقة استعانوا بشيخ الطريقة التيجانية آنذاك في تأسيسها.

–التيار الإصلاحي : باعتبار أن العديد من معلميها عادوا من الزيتونية بفكر إصلاحي مستنير من أمثال مديرها الشيخ الحشاني بن العمري ، والحقيقة أنه لا حرج من ارتباط المدرسة بجمعية العلماء بالزوايا أو بجمعية العلماء طالما أنها تؤدي في وظيفتها المنوطة بها وهي تعليم النشء ورفع الغبن عن أهل المنطقة ، وإن كنا نرى أنه من الأفضل لو بقيت تحت غطاء الزاوية حتى لا تتعرض لمضايقات الاحتلال وتواصل ما قامت بها الزاوية الهاشمية من قبل ، والزوايا الأصيلة لا تعاد الإصلاح بل يسيران في فلك واحد ، ومن الخطأ الشنيع تصنيف جميع الزوايا في مسلك واحد فمنها ما أسس لممارسة نشاط تعليمي مثل الاعتناء بتحفيظ القرءان وتعليم الطلبة ما يلزمهم من العلوم اللغوية والشرعية والتاريخية والفلسفية ونشر القيم والفضائل ومن ثم فإن لهذا النوع من الزوايا أهمية كبيرة في تكوين شخصية الفرد المسلم**(طيب جاب الله ، صفحة 140)**

والعلاقة بين جمعية العلماء والطرق الصوفية تختلف حسب طبيعة رئيس الجمعية.

وكمثال على ذلك علاقة ابن باديس بأحد أعلام المنطقة الشيخ الطاهر العبيدي تختلف عن علاقته بالشيخ البشير الإبراهيمي، فابن باديس عرف بعلاقته الوطيدة بالشيخ الطاهر العبيدي خاصة قبل تأسيس جمعية العلماء وكانت بينهما مراسلات يقول عنها الدكتور أبو القاسم سعد الله عن أحدها بأنها مراسلة غريبة وذلك عندما ذكر ابن باديس للشيخ العبيدي بأنه زار أضرحة الأولياء والصالحين بالرغم منأنه لم يشتهر عنه ذلك وهذا هو سر الغرابة فيها

(أبو القاسم سعد الله، 1983، صفحة 97)

وهذا راجع في نظرنا إلى حنكة ابن باديس وتجربته الدعوية فهو عالم بتوجهه الصوفي فلم يذكر له الأولياء بسوء سيما مع انتشار الطرقية في المنطقة وفي سائر أنحاء الجزائر**(هارون الرشبيد بن موسى ، 2017، صفحة 608)**

[1]- هذا ما صرح به الشيخ علي كافي أحد المعلمين، وشهد بذلك أحد تلاميذها.

في حين نجد أن علاقته بالريس الثاني للجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي تعرف فتورا منذ البداية وهذا راجع من نظرته للتصوف عموما حيث يراه نزعة مستحدثة في الإسلام لا تخلو من بذور فارسية وهو لا يطمئن لهذه النزعة ويشك في نواياها، **(هارون الرشبيد بن موسى ، 2017، صفحة 608)**

ولا تهم هذه الجزيئيات والفروع فلكل نظرته ولكل رأيه، والمهم هل أفلحت المدرسة في القيام بالمهمة المنوطة بها؟

إنه بالنظر للظروف المحيطة بتأسيسها النفوذ الطرقي المتحكم في المنطقة وكذلك الحكم العسكري المسيطر والذي لا يسمح بمزاولة أي نشاط وكذلك الصعوبات التي تلقتها في البداية حيث لم تسمح بفتحها إلا بعد أن استعان أعيان المنطقة بشيخ الزاوية التيجانية يعتبر في حد ذاته تحد وإنجاز لسكان المنطقة وقد كانت فاتحة خير عليهم فمنها انطلقت البعثات العلمية للزيتونة ومنها تكون جيل من الوطنيين المخلصين الذين رفعوا السلاح في وجه العدو، ومنها تخرج العديد من المعلمين والمربين الذين حملوا الراية وواصلوا المسيرة بعد الاستقلال.

الخاتمة

من خلال هذا العرض المتعلق بمدرسة الفلاح يمكننا تسجيل بعض النقاط:

–الوضع الثقافي المتردي المتجلي في تلك العادات السيئة المتنافية مع قيم الدين ومنطق العقل المتعشعشة في قلوب العامة وهذا بمساعدة سلطات الاحتلال لأن ذلك يخدم مصالحها.

–مدى الصعوبة التي وجدها علماء منطقة تقرت في إيصال الفكر التنويري للمنطقة والمتمثلة في الطرق الصوفية المنحرفة والتي وقفت حاجزا منيعا وعقبة كؤودا في وجه المصلحين إضافة إلى حضر العمل السياسي في المنطقة، ومن ثم يتبين لنا التضحية والبلاء الحسن الذي أبلاه القائمون على المدرسة في سبيل تعليم أبناء المنطقة والنهوض برسالة العلم ومجابهة الاستعمار حيث الوضع السياسي صعب والإمكانات ضعيفة جدا ومنها انطلقت البعثات العلمية للحواضر العلمية في الجزائر وغيرها ومنه عرفت المنطقة النور.

–الأثر الكبير للمدرسة وغيرها على المنطقة والجزائر عموما ويتجلى أثرها لا لأنها أعدت العدة للثورة فقط بل لأن أبناءها حملوا مشعل البناء والتشييد بعد الاستقلال فجل الإطارات التي تفانت في خدمة الجزائر عقب نهاية الثورة من خريجي مدارس الجمعية، وعليه فمن الواجب التعريف بتاريخها وبرامجها وأساتذتها وخريجها للجيل الحالي حتى يتأسى بالأسلاف.

–جودة البرامج ويتجلى ذلك في اهتمام القائمين على هذه المدارس بالمواد المكملة كالمسرح والموسيقى والكشافة فالأناشيد الوطنية الحماسية هي التي تغذي في نفوس التلاميذ حب الوطن والتعلق به وتعرفهم بقضاياهم ومن ثم تهيؤهم للدود والدفاع عنه.

قائمة المراجع

أبو القاسم سعد الله .(1983) .*تجارب في الأدب والرحلة*.المؤسسة الوطنية للكتاب.

طيب جاب الله .(s.d.) .دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري.(14)*08* .

عبد الحميد قادري .(2014) .*وادي ريغ تاريخ وامجاد جزائرية، دراسة تاريخية* .(Vol. 2)الجزائر :دار الاوطان.

عمر هلال .(s.d.) .أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر .

عمراني معاذ .(s.d.) .الوضع الثقافي في منطقة وادي ريغ خلال النصف الأول من القرن العشرين .*مجلة البحوث والدراسات*.(17)

محمد الحاكم ,ع .(2010-2011) .*مخطوط أخبار وأيام وادي ريغ ، للطاهر بن دومة*.قسنطينة ,جامعة منتوري.

هارون الرشبيد بن موسى .(2017) .العلاقة بين الحركة الصوفي والإصلاحية ابن باديس الطاهر العبيدي انموذجا .*مجلة الدراسات الاسلامية*.(9)

هارون الرشيد بن موسى .(s.d.) .تأثير الدراسات الإستشراقية الفرنسية على الطرق الصوفية في منطقة وادي ريغ1957-1840)م .(*حوليات جامعة الجزائر*.33 ,

الملاحق

مدرسة الفلاح بتقرت

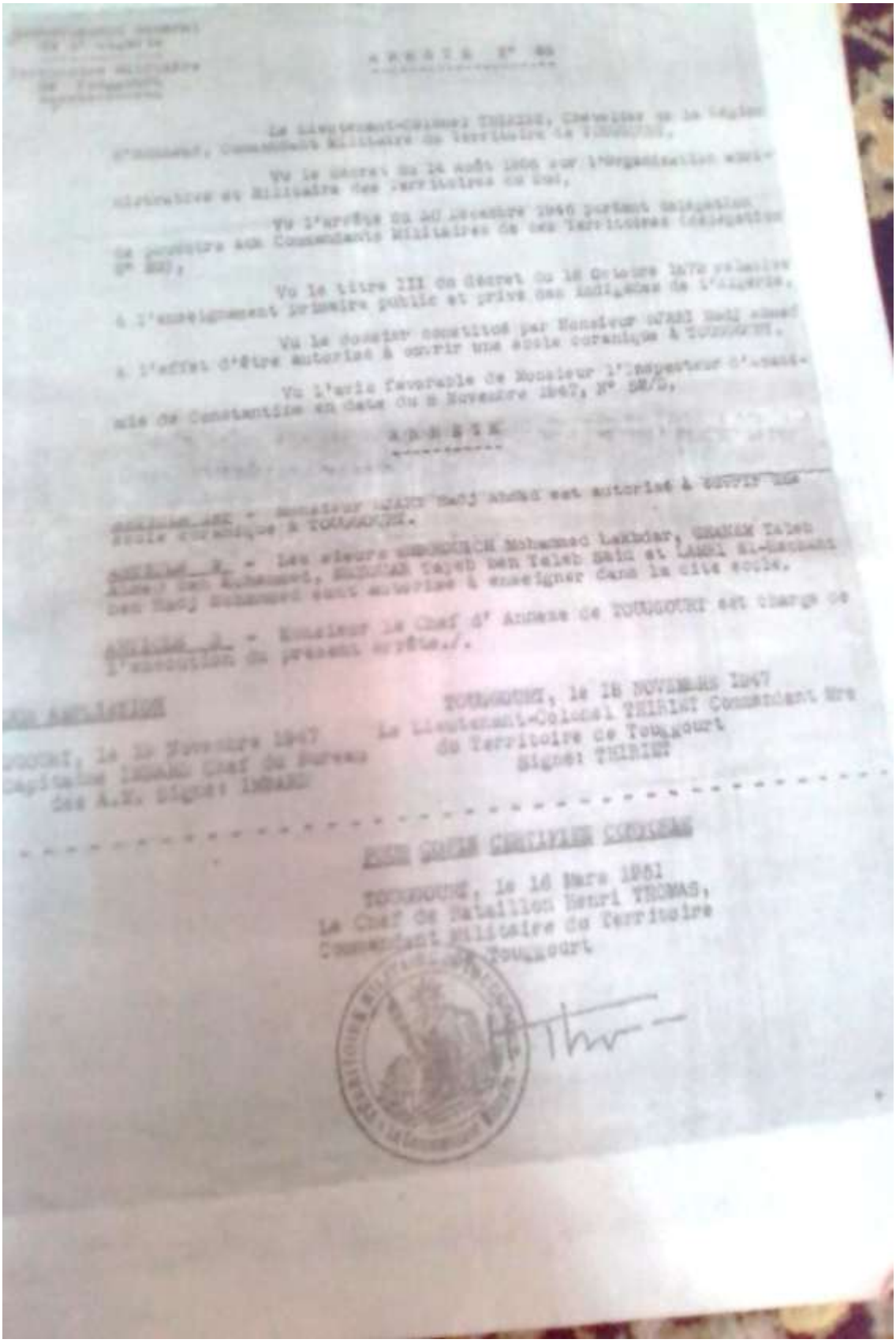

وثيقة قرار فتح المدرسة الفلاح

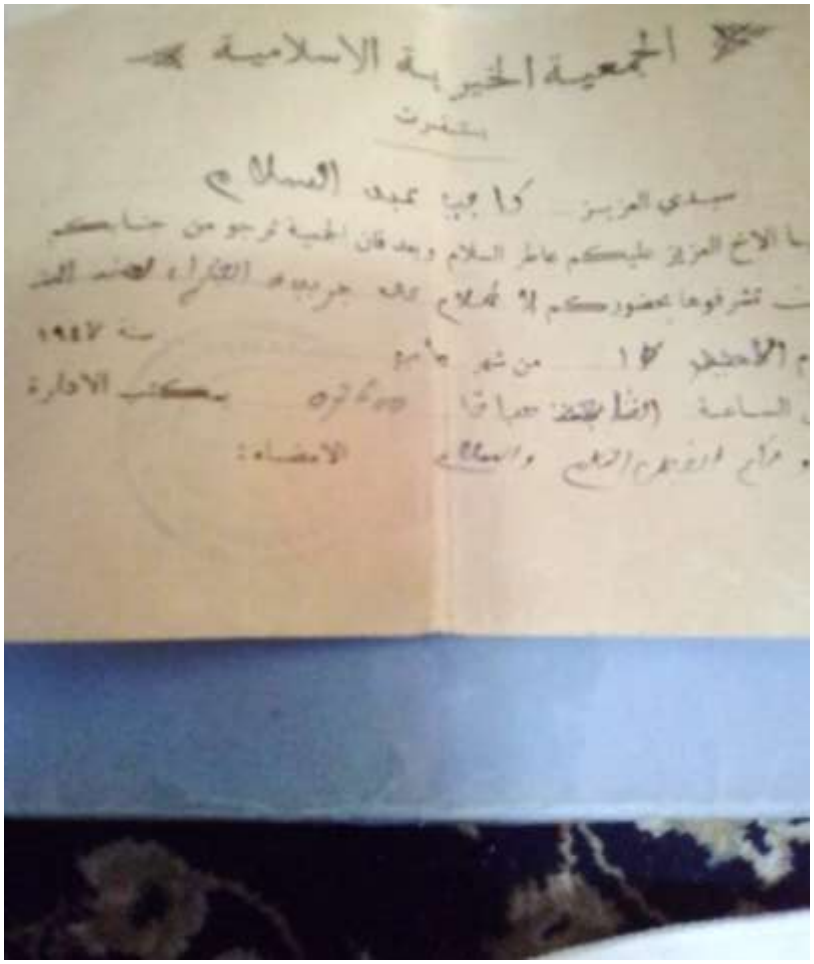

وثيقة استدعاء لأحد معلمي المدرسة